الضمني و الصريح في صناعة المعرفة
لدى النخبة الإعلامية بالجزائـــر

أم الخير تومي*

إن الحكمة هي النظر في الأشياء بحسب "
ما تقتضيه طبيعة البرهان"
ابن رشد

يلعب الإعلاميون باعتبارهم احد النخب المثقفة واهم الفئات الاجتماعية المنتجة والمعيدة لإنتاج دلالات ومعان اجتماعية دورا بارزا في تأطير المسائل الثقافية ، إذ يساهم حجم المعارف المتراكمة لديها كثيرا في إثراء النظام الدلالي الرمزي للمجتمع .

المعروف أن لهذه الفئة القدرة على الاشتراك مع أكبر عدد من الأشخاص لتوجيه ممارساتهم الاجتماعية وهذا ما يمكن أن نسميه أيضا بـ " الجاذبية " أو " العضوية " والتي تترجم في قدرتهم (أي النخبة المثقفة) في تكوين وتوجيه كل أو جزء من المجتمع أي أنها تساعد على توجيه الممارسة الاجتماعية، حسب اعتقاد غر امشي (Gramsci A) [1] . علما أن عملية التوجيه هذه لا تخلو من بعض التناقض و الاختلاف بخصوص النظرة إلى المشروع الاجتماعي والحضاري [2].

فبروز الخلاف والصراع داخل المنظومة الإعلامية والذي يلاحظ أكثر من طبيعة الخط الافتتاحي يعزز شكنا في وجود صحافة متجانسة ومتكافئة من حيث المعايير والتوجهات والمشروع الاجتماعي العام وهو ما يعطي شرعية أكثر للحديث عن وجود خطابات ضمنية وأخرى علنية فيما بين الفاعلين داخل الحقل الإعلامي.

---

* - أستاذة-محاضرة بجامعة وهران، باحثة في الكرياد

1 - هذا ما أشار إليه غرامشي وهو يتحدث في كراسات سجنه حول المثقف:
- GRAMSCI A , 1983, Cahiers de prison, Traduit par Françoise Bouillot, Monique Aymardn Édité par Robert Paris ,Paris, Gallimard.

2 - RIFFEL R, 1984 , L'élite des journalistes . Paris, Puf.
- ROLAND C , 1973, La presse écrite et audio-visuel . Paris, Puf.

مشروعنا في هذه الدراسة هو الوقوف عند طبيعة المعارف المنتجة- الخفية منها والظاهرة- من طرف النخب الإعلامية. فنحن ننطلق من فكرة مفادها أن عملية صياغة المشروع الثقافي والاجتماعي بالجزائر قد شهدت نوعا من التناقض نظرا للاختلاف الذي مَيز النخب الإعلامية بالقطاع المكتوب تحديدا بحيث سعى كل طرف إلى توظيف مجموعة من الرموز الثقافية وتكييفها مع إيديولوجيته الخاصة ، بل وكان تشدد كل طرف وتمسكه بفلسفته ونظرته للحقل الثقافي والاجتماعي العام هو من وراء بروز بعض الصراعات.فما هي المكونات الهوياتية القوية التي كانت ولازالت محل صراع بين هذه الأطراف ؟

المؤكد أن الحديث عن مكونات المرجعية الثقافية للمجتمع الجزائري في شكلها العام أمر في غاية التعقيد والتشعب ولا ننكر أن للنخب الإعلامية فلسفتها الخاصة وطريقتها المتميزة في إنتاج المعارف بشكل عام وإعادة إنتاج مكونات المرجعية الثقافية لهذا المجتمع ، فكيف تساهم هذه الفئة في رسم المشروع الاجتماعي الحضاري لهذا المجتمع ؟ وما ميزة الخطاب المنتج ، بمعنى هل يتضمن خطابها إعلانا صريحا وواضحا للخلفيات والأبعاد الفلسفية التي تتبناها أم أن البعض من خطاباتها تميز – أحيانا – بالغموض وعدم الوضوح؟

1- النخبة الإعلامية الجزائرية...الرهانات والصراعات

اتسمت العلاقات بين النخبة الإعلامية الجزائرية بنوع من اللاتوافق واللانسجام بدليل وجود تناقضات فيما بينها من حيث أن "...الفضاء الاجتماعي هو فعلا مبني حسب التوزيع غير عادل للثروة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية، وهذا البناء غير عادي يسير وفق علاقات القوة والمعنى..."[(3)].

يمكن القول أن الصراع بين الجماعات الإعلامية هو ناتج عن وجود إختلافات وانعدام التوازن في ملكية الأشياء المادية أو المعنوية وهذه الأخيرة يمكن أن تحدد بالكَم (جماعة تملك عددا هائلا من الرموز الروحية أو المادية) أو – وهذا هو المهم - بالنوعية، أي المعنى والخدمات التي يمكن أن تقدمها للفاعلين الاجتماعيين من حيث قدرتها على تشكيل علاقة منسَقة بين مختلف المعطيات الاجتماعية ومنها تستطيع الجماعة أن تبرز وجودها وتتحكم في الأوضاع والنتيجة هي مشاحنات ورهانات ثقافية وإيديولوجية باسم اللغة حينا والدين أحيانا أو بهما معا وهو ما أدى إلى انقسام النخبة الإعلامية آخذة شكل ازدواجية [(4)].

ا - النخبة الإعلامية الحداثية – المفرنسة

3- ANSART P, 1990 , Les sociologies contemporaines, Paris, Le Seuil, p.110.

4 - **توقفنا بشكل مفصل عند هذه المسالة من خلال أطروحتنا للدكتوراه ، أم الخير تومي، 2010 ، الخطاب الإعلامي و الازدواجية الثقافية بالجزائر، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران.**

تتميز هذه الفئة بتعلّقها بالنموذج الثقافي المنقول عبر اللغة والثقافة الفرنسية وتستمد مرجعيتها من العالم الرمزي الغربي[5]، ترى هذه الجماعة أن أحسن وسيلة للانخراط فيه (العالم الغربي) هو تبني الأفكار المتفتحة والحداثية إلى جانب استعمال اللغات الحية لأنها لغات العصر المعبرة عن التطور التكنولوجي.

تمثل هذه الفئة حسب عبد الله قطاف الخط الفرانكوفوني "التغريبي" وليس العصراني وتتفاعل بالأساس – حسبه- مع الطبقة الحاكمة وتمثل مرجعية أساسية للغرب عامة (...) وقد وصل أصحاب هذا الاتجاه إلى منابع الريع البترولي ويدافعون بـاستماته عن البقاء على الأوضاع الراهنة بعد أن كانوا يمثلون قوة في مرحلة من المراحل..."[6]

ب - النخبة الإعلامية المحافظة – المعربة :

تلقَى غالبية من ينتمون إلى هذه الجماعة تكوينا باللغة العربية على مستوى الزوايا أو المساجد في فترة الاستعمار أو تكوينا مماثلا بالمراكز التعليمية في فترة ما بعد الاستقلال.فهم يمثلون ويتبنون نمط الثقافة العربية الإسلامية، كما نجدهم يستشعرون ويحنَون لماضي الحضارة العربية- الإسلامية ، وينادون بضرورة العودة إلى المنابع الأصلية والقيم الأولى للأسلاف لكونها الأداة الوحيدة لمقاومة الغزو الثقافي الغربي وذوبان الشخصية المترتبة عنه، وفضلا عن هذا فإن معرفتها وحذقها للعربية تجعلها في نظرها الضامن الوحيد لفصاحة هذه اللغة ومستودعها الوحيد.

يعتبر البعض [7] أن النخبة المفرسة – الحديث ينطبق أيضا عن النخبة الإعلامية من هذا الصنف هي مزدوجة الثقافة واللغة لانتماء ونشوء أغلب أعضاءها في الفضاء الأمازيغي (حالة إطارات يومية Liberté) والفضاء الغربي (اكتساب ثقافة ولغة الغرب وفرنسا تحديدا) في حين أن معظم أعضاء النخبة المعربة وحيدي اللغة والثقافة ويستثنى هنا قلائل من مزدوجي اللغة والثقافة العربية والفرنسية – والذين نجدهم يحاولون التوفيق بين إسهام التراث وإسهام الحداثة حتى وإن كانت حالتهم هذه تميل نحو الثقافة العربية الإسلامية من حيث وجهها القديم والحديث .

قد تلقى هذه الرؤية بعض النقد لكونها إختزلت وحاولت تبسيط الرؤية للشبكية المعقدة الخاصة بالنخبة المثقفة عموما والإعلامية على وجه التحديد (أو كفرع يمثلها) لكن

---

[5] - تصريح إطار سابق بجريدة الجمهورية والصح آفة وأيضا فكرة مستوحاة من معظم كتابات الإعلامي سعد بوعقبة الذي كان ينتقد كثيرا هذه الفئة ويصفها بـ "المستقورة" (افتتاحيات الشروق العربي).

[6] - تصريح عبد الله قطاف (مدير سابق ليومية الشروق) .

[7] - TALEB IBRAHIMI K, 1997, Les Algériens et leur(s) langue(s), Alger, EL Hikma.

.

المؤكد أننا أردنا تليين موصفات المجموعتين وإبراز بعض التقاطعات التي تجعلنا نحصر الشرائح الاجتماعية الأخرى.

يجب أن نعترف أن هذه الازدواجية أمر حاصل وساهم في وجود نظرة معرفية وإيديولوجية مزدوجة وهي ازدواجية موسومة من قبل هويَتين اجتماعيتين متمايزتين وقويتين، مما جعلها تعيش حالة صراع وتضاد والسؤال الذي يجدر طرحه في هذا الصدد فيما تمكن ركائز إستراتيجيتهما الخطابية ؟ وكيف تأثرت وأثرت هذه الأخيرة في وعيهم وتصوراتهم للوجود ؟ .

يقول جيلبارغرانغيليوم (Grandguillaume. G) : " اللغة هي الأداة التي يتحقق بها الاندماج الاجتماعي للفرد وبناء ذاته الاجتماعية وهذه اللغة التي تضعه في صلة بالغير تجعله ينخرط في سيرورة مزدوجة حيث يعترف الفرد بالهوية، هوّية العضوية في صلب مجموعة بعينها والاعتراف المكتسب ضد قبول قانون ما، قانون الجماعة واللغة من حيث هذه الوجهة تحدد البنية الرمزية للجماعة..."[8].

يتوضح من خلال هذا التصريح أنه استطاعت الجماعات الاجتماعية ومنهم النخبة الإعلامية أن تنظم حقل تواصلها وإستراتيجياتها الخطابية بفضل الرصيد اللغوي الذي هو في متناولها بحكم أن للغة تأثير عظيم على تصورها للهوية ووعيها بالانتماء إلى جماعة معينة أو عدة جماعات في الوقت نفسه [9] وعلى هذا الأساس نعترف بأن الحقل الإعلامي لم يسلم من الرهانات القائمة بين النخب آخذة (الرهانات) الطابع الثقافي والإيديولوجي حتى وان كانت اللغة عنوانه.

على صعيد آخر لا ننكر أن المعتقد الديني قد لعب الدور المحّرك في الصراع بين هاتين الجماعتين (لاسيما خلال سنوات التسعينات) من حيث أن الأبعاد التي تقدمها أية جماعة للدين هي التي تمنح الرؤى والمعرفة للظواهر الاجتماعية في هذه الأبعاد بين مختلف الفئات الاجتماعية، فإن الصراع هو المعبر عن هذا الأخير (الاختلاف) مما يستلزم في بعض الحالات تحالف جماعتين أو أكثر ضد جماعة أخرى، هذا ما أكده ليفي أندري (LEVY. A) الذي إعتبر " أن الدخول في الصراع مع البعض يؤدي للدخول في تحالف ووفاق مع الآخرين"[10]

قد يكون من المنطقي أن تدخل أي جماعة إعلامية، خاصة إن كانت واسعة في صراع مع نفسها وهذا بفعل ظهور التناقضات في الجماعة الفرعية أو التحتية وقد أكد ليفين

---

8 - GRANDGUILLAUME G., 1996, La confrontation par les langues, Anthropologie et sociétés, op. cit., p. 40 .

9 - TALEB IBRAHIMI K., Idem, p. 437.

10 - LEVY A., 1972, Psychologie sociale (textes fondamentaux) Anglais et Américains, T2, Paris, Dumont, p. 496.

(LEWIN. K.) على هذه الظاهرة مرجعا سببها إلى اهتزاز منظومة الاتصال بين مختلف الفاعلين الاجتماعين المنظمَين في إطار تجمعات فرعية [11].

فهل عكست المعارف المنتجة من قبل النخبة الإعلامية قيما وتصورات ومبادئ مختلف الجماعات الاجتماعية والمرجعية التي تميل إليها ؟ وهل تضمنت هذه المعارف معان ضمنية باعتمادها على استراتجيات الكتابة الصحفية أم أنها كانت مباشرة اتسمت بوضوح أفكارها وأهدافها ؟

2- المعارف الصريحة و الضمنية في الصحافة المكتوبة

من المهم الاعتراف بالدور الكبير الذي تؤديه النخب الإعلامية في إعادة إنتاج المعارف وفرزها واستخدامها في إضفاء نوع من الشرعية على منتوجها الفكري المعرفي. فقد اعتمدت هذه الفئة وهي نتاقش قضايا حساسة على أساليب خطابية ترتكز على معارف خفية و أخرى ضمنية التي اعتمد فيها على استراتجيات تراوحت بين المباشرة والوضوح من جهة وعلى التلميح والامباشرة من جانب آخر.

سنكتشف فيما يلي طبيعة الاستراتجيات المستعملة من خلال الوقوف عند مرحلتين أساسيتين اختلفتا في لهجة التعبير عن الصراع، لكن إشتركتا في عكس واقع الازدواجية الثقافية والإعلامية بكل تناقضاتها .

ا - المرحلة الأولى : (مرحلة الحزب الواحد) الثقافة الرسمية..والصراعات الخفية

لم يتسّن للصحافة المكتوبة كغيرها من المؤسسات الاجتماعية في الفترة التي أعقبت الاستقلال مباشرة أن تعبّر بشكل علني وصريح عن التعددية الفكرية والثقافية الموجودة في المجتمع الجزائري، فقد عجزت في بلورة تطلعات الثقافات الفرعية لهذا المجتمع بشكل علني في عهد الحزب الواحد نتيجة طبيعة النظام والسلطة وبالتالي فإن هذا الواقع غطّى جملة النقائص الإعلامية والاتصالية التي كانت موجودة في المجتمع الجزائري خاصة بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي وبين النخبة المثقفة كونها طرفا مهما في هذه المعادلة.

إن عدم الاستقلالية الرسمية لقطاع الإعلام عن الأشكال السلطوية والمؤسساتية في هذه المرحلة يعني قيام نوع من الوصاية التسييرية للمعلومات والتحليلات خاصة على مستوى الصحافة المكتوبة التي لها دور مهم في التأثير والتوجيه[12] و رغم طابع التسّيس الذي ميز هذا القطاع الحساس فان ذالك لم يمنع من تحول هذا الحقل إلى حلبة للصراع بين

---

11 - LEWIN K., 1959, Psychologie dynamique. Les relations humaines, présentés par Claude Faucheux. Trad. par Marguerite et Claude Faucheux, Révision générale par JM Lemaine, Paris , Puf.

12- **شيير .أ . هربرت ،1999، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة : عبد السلام رضوان ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد 243 .**

النخب الجزائرية باختلاف أنواعها و توجهاتها والتي تركت بصماتها واضحة من خلال التوجيه الإيديولوجي للوسائل الإعلامية شكلا ومضمونا.

فما هي معالم الصراع الخفي الحاصل خلال هذه المرحلة ؟ وهل اعتمدت الخطابات الصحفية على أساليب مدروسة لإيصال تصورات محددة بشكل ضمني ؟

اعتمدت السلطة السياسية الجزائرية عقب الاستقلال مواقف متناقضة بخصوص السياسة الثقافية ما أسهم في تفاقم حدة الصراعات والاصطدامات بين النخب الجزائرية، خاصة وأنه لم يتم الحديث بصفة رسمية عن لغة وثقافة أخرى غير العربية في هذه الأثناء (العقدان الأولان من الاستقلال) حيث لم يعترف رسميا بوجود ثقافات فرعية أخرى ولا بأبعاد أخرى للهوية الوطنية غير الهوية العربية الإسلامية [13] ، لتظل مسألة التنوع الثقافي مكتومة في الخطاب السياسي طيلة هذه الفترة، إذ لم يجرأ وقتها الكثير من السياسيين والمثقفين الحديث عن التعددية الثقافية واللغوية في الجزائر بالرغم من كونها إحدى المعطيات الأكثر قدما والأكثر عمقا في الواقع الجزائري [14] .

وكان الإعلام المكتوب واحدا من الحقول التي سايرت سياسة التكتم المفروضة متأثرة في ذات الوقت بالأوضاع العامة التي تميزت بالتغير والارتجالية تبعا لمراكز النفوذ المسيطرة .

.. حول معركة التعريب :

خلَفت عمليات تعريب الصحف مثلا نوعا من التشنجات بين الجماعات الإعلامية، فقد دعم وزكى العروبيون مبادرة التعريب، عكس الجماعة الفرونكوفونية التي إمتعضت من عمليات التعريب معتبرة أن مجال الإعلام بدأ يفتقد الكثير من مصداقيته وهو ما أكده مدير مكتب جريدة الوطن بوهران الذي قال :" ...ساهمت الجماعة المعربة القادمة من القطاع التربوي نحو الصحافة في ركود هذه الأخيرة بعد تعريبها (...) لأنهم لم يمارسوا الصحافة والإعلام الذي هو نشر للمعلومات والحقائق ... و إنما مارسوا المهام التربوي البيداغوجي (...) كانوا متمكنين من اللغة وليس من مهنة الصحافة ..." .

من جانبهم و انطلاقا من فكرة أن التعريب واجب وطني، ثوري وحضاري ألّح العروبيون على فكرة تعريب مختلف المؤسسات ومنها الصحافة، اعتقادا منهم أن هذا الفعل سيعطي العربية أبعادا وأهدافا ملموسة أكثر إستراتيجية واجتماعية [15]. ليظل صراع الجماعات الإعلامية كغيرها من الجماعات على مستوى المجالات السياسية والفكرية) ،

---

13 – تبنى الحزب الواحد بعد الاستقلال تعريف إبن باديس للشخصية الجزائرية، القائم على العروبة والإسلام كتعريف رسمي للهوية، حيث برزت أثنائها ردود فعل رافضة للفكرة ولقد أعاقت هذه الأطراف الغاضبة مهمة الحزب الواحد الذي فشل في أداء وظيفته الدمج الاجتماعي والثقافي للجزائريين والسبب في ذلك حسب البعض الثنائية الباديسة (العروبة والإسلام).

14 - MAOUGAL M., 1997, Le syndrome Identitaire, in réflexions, n°01, Alger,CASBAH, p. 66 .

15 – جاء ذلك في مقابلة مع صحفي بيومية الشروق مكتب وهران .

قائما بدليل سعي كل طرف لبسط سيطرته على القطاع على غرار باقي قطاعات الفكر والثقافة وهو ما يؤكده جيلبارغرانغيليوم (Grandguillaume. G) بالقول:" جعل الخطاب السياسي من التعريب معركة بين اللغة العربية واللغة الفرنسية " [16].

ب - المرحلة الثانية : (عقب الانفتاح) صور عن التعددية الثقافية وازدواجية الصحافة:

لم تكن هذه المرحلة لتظهر إلى الوجود لولا أحداث أكتوبر 1988 التي تعتبر منعطفا حاسما في تاريخ الجزائر على كل المستويات وتحديدا على مستوى الإعلام المكتوب [17].

عكست ظاهرة الصحافة الخاصة تطلعات التعددية الثقافية التي هي موجودة بالمجتمع الجزائري لكنها لم تستطع أن تتبلور بشكل رسمي في عهد الحزب الواحد مثلما سبق تفسيره، إن التغيير الجذري في الخطاب الإعلامي في الجزائر كان حسب معظم الصحفيين المستجوبين حول قضايا الهوية والثقافة وبعض المسائل السياسية [18] .

وظفت الصحافة المكتوبة كأداة مهمة في التكوين الثقافي والسياسي من خلال نشر الخطابات وتحليلها ما جعلها تساهم بشكل قوي في بناء تصورات ونماذج ثقافية مختلفة خاصة في هذا الظرف الذي عرف ظهور الحرية الإعلامية السياسية وما أحدثاه من تغيرات اجتماعية و سياسية .

عبّرت الصحافة المكتوبة عقب أحداث خريف عام 1988 عن مختلف مظاهر الصراع الاجتماعي والإيديولوجي في مختلف أشكاله من خلال إجراء حوارات، مناظرات.. لمختلف العناصر البارزة والناشطة بعدد من المؤسسات الحزبية والجمعوية والتعليمية [19] .

فقد غلب على الحركة السياسية والاجتماعية في الجزائر بعد التسعينات الطرح الثقافي التقييمي، فطرحت قضايا الهوية و المرأة وقانون الأسرة و اللغة ونمط السلوك الفردي والجماعي والأكثر من ذلك فقد كان طرحا جماهريا شاركت فيه مختلف الفئات

---

16 - GRANDGUILLAUME G., L'arabisation et Démagogie en Algérie, le Monde diplomatique, Février 1997.

17 – من اثر هذه الأحداث دستور فيفري 89 الذي سمح بتأسيس الجمعيات السياسية وبحرية الصحافة وتنوعها (المادة 39) ، فزيادة على تدعيم الإعلامي العمومي بإصدارات جديدة، عرفت الجزائر أنواع جديدة من الإصدارات أقواها الصحف الخاصة ، بالإضافة إلى الصحف الحزبية ، المتخصصة ، الساخرة . ونشر إلى أن معظم الصحف العمومية حولت بفضل قانون الإعلام رقم 7/90 سنة 90 إلى شركات مساهمة ذات مسؤولية محدودة تراقبها انتقائيا لجان وصاية، فيما تم تحريض أكبر عدد من المهنيين على إختيار طريق الصحافة الخاصة وذلك بدفع مرتبات سنتين مسبقا لتكوين رأسمال وبتقديم مساعدات شتى للتأسيس عناوين خاصة ومنها الحصول على إختيار طريق الصحافة الخاصة وذلك بدفع مرتبات سنتين مسبقا لتكوين رأسمال وبتقديم مساعدات شتى للتأسيس عناوين خاصة ومنها الحصول على مقرات مجانا لمدة خمس سنوات وقروض خاصة لأجل التجهيز مع الاحتفاظ بحق العودة إلى المؤسسات الإعلامية في حال فشل المشروع الجديد .

18 – كان إجماع معظم الإعلاميين المستجوبين .

19 – إلى جانب الإذاعة (القناة الثالثة تحديدا) والتلفزيون ساهمت الصحف الخاصة كثيرا في عرض برامج الأحزاب السياسية في تلك الفترة .

الاجتماعية "... لقد ساهمت الحرية الفعلية لوسائل الإعلام في تحقيق وبناء مشروع وطني حضاري في ظل صراع إجتماعي، فالتنافس بين مختلف الرؤى والتصورات سمح باشتراك الشعب في هذه العملية والحكم عليها ..." [20].

لعبت الصحافة المكتوبة الدور المركزي في التعبير عن القضايا الحساسة التي طرحت للنقاش في تلك الفترة و شاركت فيما أحزاب وجمعيات فطرح مسائل كالمرأة، التعريب، بيع الخمور ...جاء ذالك في وقت كانت فيه حرية العمل الصحفي والسياسي والجمعوي في بداية طريقها والذي طبعتها المنافسة الحادة والشديدة بين مختلف الأطر الأيديولوجية خاصة في فترة النشاط المكثف لمختلف الأحزاب السياسية إستعدادا للإنتخابات التشريعية لسبتمبر 1991 .

وعلى غرار باقي الحركات والتنظيمات والأحزاب السياسية، انقسمت الصحف هي الأخرى على نفسها إلى مجموعتين إعلاميتين كبيرتين ينضوي تحت كل واحدة منهما عدد من الصحف تتقارب في الاتجاه وتتشارك في بعض المبادئ والتصورات الإيديولوجية والثقافية الكبرى و سعت كل مجموعة إعلامية إلى الوصول إلى الاعتراف بشرعيتها وقوتها الاجتماعية والسياسية مستعملة دلالات رمزية ومادية من خلال توظيف قضايا حساسة في الدولة والمجتمع وإتخذت فيها مسألة الهوية الثقافية الحصة الأكبر مستعملة كل الأساليب الإستراتيجية والتعبيرية والاقناعية منها، كما أعادت إنتاج الصراعات الرمزية الموجودة بين الجماعات على مستوى الأحزاب، الصحافة، المدرسة، الجمعيات، الجامعات... علما أن لهجة الخطاب الإعلامي المستعمل في تلك الفترة (لاسيما بداية التسعينات) كانت جريئة وقوية بدليل بروز ظواهر كالشتم والقذف بالإضافة إلى استعمال أوصاف قاسية ، بحيث كانت الصحف المفرنسة تصف المعربين " بالأصوليين "أو " المتعصبين " مثلا في حين أن المعربين كانوا ينعتون خصومهم " بأحزاب فرنسا " "والفرانكو شيوعين "

فما هي أهم القضايا المتنازع حولها ؟ وبالتالي ما هي المبادئ التي دافعت عنها كل مجموعة ؟[21] .

*** الصحف حداثية التوجه**

يبرز التنظيم البنيوي الوظيفي للجماعة المرجعية الحداثية – العلمانية مدى مماثلة بعض الصحف لهذا الإطار المرجعي من خلال طبيعة الثقافة والأيديولوجيات التي تبنتها

---

20 – جاء في مقابلة ، جريت مع مدير يومية La Voix de L'Oranie .

21 – إعتمدنا في جمعنا لهذه المعطيات على تصريحات بعض الإعلاميين ، إلى جانب مطالعة أرشيف بعض الصحف لتلك الفترة .

جرائد مثل Le Soir d'Algérie , Le Matin , El Watan, Liberté (معظمها ناطقة بالفرنسية) والمعبرة عنها من خلال مواقعهم وخطاباتهم الصحفية (إفتتاحيات، حوارات...) " إنها صحف فرانكوفونية تعمل على تأييد الجناح التغريبي في السلطة وتتعمد ضرب كل ما هو وطني عربي ..." [22] .

يمكن إبراز مظاهر الفكر الحداثي حسبما ورد في الصحف المنتمية إلى هذا الاتجاه في :

- **فصل الدين عن الدولة**

دافعت صحف هذا التوجه و بشكل كبير عن فكرة فصل الدين عن الدولة ،إذ سعت إلى الإقناع بمبدأ الائكية مستعملة أشكالا وأساليب كثيرة مثل تمريرها لخطابات بعض الجماعات السياسية والفكرية المعروفة بدفاعها عن الائكية (أحزاب، منظمات جماهرية، الشبيبة، اتحاد نسائي...) منطلقة من فكرة أنها ضرورة إستدعتها التغيرات الموضوعية التي تحدث للمجتمع الجزائري.

برزت مظاهر الصراع حول هذه المسألة في الحقل السياسي من خلال النقاشات الجادة وغير معلن عنها رسميا خاصة في المجلس الشعبي الوطني بالضبط عام 1996 وهي فترة مناقشة قضية تعديل الدستور على مستوى هذا المجلس بين بعض الأحزاب متصارعة مثل جهة القوى الاشتراكية وحركة التحدي سابقا اللتين إحتلتا مواقع إستراتيجية في التعبير عن الائكية ودورها في خلق وعي وطني يعمل على تحديث المجتمع والدولة ويمكن إدراج هذا في إطار النضال ومعارضة التوجه العربي الإسلامي، هذا ما أشار إليه صحفي بجريدة الوطن بالقول:" يمكن للصحافة الخاصة أن تشارك في صياغة مشروع حضاري مهما كانت الظروف هذا بإعطاء الحرية العملية للمجال الإعلامي مما يسمح بخلق تنافس وتقوية وإثراء نقاط القوة وبروز النظرة الواقعية للحقائق (...) لكن هذا لن يتم إلا في ضوء الرفض التام والعملي للأصولية الدينية و مختلف الطرق المباشرة وغير المباشرة المؤيدة لها ..."[23] وربطت جرائد هذا التوجه ظاهرة الإسلام السياسي بالعنف والذي شكل أغلب خطاباتها التي ركزت على أن العنف الذي عاشته الجزائر في بداية التسعينات مرده الإسلام السياسي الناتج عن عدم فصل الدين عن الدولة وما أفرزه من حركات سياسية وإجتماعية متطرفة والمقصود هنا حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ الذي لاقي انتقادات كثيرة من طرف هذه الصحف والتي إتهمته بأنه هو من وراء زعزعة الوضع الأمني والسياسي بالجزائر .نشير إلى أن معظم هذه الصحف طالبت توقيف المسار الانتخابي وعدم إجراء

---

22 – و وصف الإعلامي عبد الله قطاف (مدير سابق ليومية الشروق) .

23 – كما أشار إلى نفس الفكرة مدير جريدة La Voix de l'Oranie .

الدورة الثانية للانتخابات التشريعية نهاية عام 1991 رافضة تزعم وتحكم حزب إسلامي في شؤون الدولة.

من نفس المنظار طرحت وناقشت هذه الصحف مسألة قانون الأسرة والمنظومة التربوية واللتان طرحتا وبحدة عام 1998 . فقد ركزت هذه الصحف خلال نقدها لقانون الأسرة لعام 1998 على فكرة أنه لا يتلائم مع متطلبات المجتمع الديمقراطي لكونه يحمل صيغة دينية أكثر منها مدنية معتبرة بأنه لم يخدم المرأة بل همّشها وسبب ذالك هو تواجد عقليات تقليدية في القانون ، هذا ما لمسناه مثلا من خلال تغطيات الجرائد لفعاليات الملتقى الدولي حول المرأة والأسرة المنعقد مع نهاية عام 1999 بإشراف المجلس الإسلامي الأعلى، وبهذه المناسبة طالبت الصحف بضرورة القيام بمبادرات اجتهاد لتكيف وتعديل بعض مواد القانون، كما لمسنا ذات الموقف (الرافض لهذا القانون) من خلال تغطيات الجرائد لمختلف التظاهرات والمسيرات والندوات المنظمة من قبل الجمعيات النسوية والتنظيمات والأحزاب[24] .

المسجل أيضا رفض مثل هذه الصحف لفكرة إقحام المسائل الدينية في المؤسسات التعليمية منطلقة من فكرة أن اعتماد المناهج التعليمية على الدين غير علمية وقد تساهم في إنتاج أجيال متعصبة ومتطرفة وغير متفتحة وبعيدة كل البعد عن الواقع [25] نفس الموقف الرافض اتخذ بشأن عمليات تعريب المدرسة وهو ما يترجم في رفض سياسة وإصلاحات على بن محمد (وزير التربية الأسبق) عام 1991 [26] بالمقابل سجل ترحيب هذه الصحف للإصلاحات اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية لعام 2001 [27] .

كما يمكن إدراج وفي نفس السياق الضجة الإعلامية التي أثيرت حول خبر تحويل العطلة الأسبوعية من الخميس والجمعة إلى السبت والأحد (العطلة العالمية) في خانة المسائل التي أخذت صبغة دينية أكثر منه شيء آخر [28] .

نشير أيضا إلى قضية مهمة لا تخلو من دلالات وأبعاد دينية، فقد أثار عام 2006 برنامج تلفزيون الواقع المعروض على التلفزيون الجزائري ردود أفعال متباينة بين فئات وشرائح المجتمع وكانت الصحافة المكتوبة وكالعادة في الواجهة إذ راحت تستعرض المسالة من وجهات نظر مختلفة إذ سجل دفاع جريدة El watan عن هذا البرامج من خلال إثارة القضية من باب " أن الإسلاميين في الجزائر يريدون حظر الموسيقي "

---

24 – **أعلن ذلك في معظم الصفحات الأولى لجرائد** Liberté, El Watan, Le Matin .

25 - Liberté, Avril 1994, l'école demeure otage des archaïsmes et de l'extrémisme religieux, p. 4

26 – **سبق شرح خصوصيات هذه الإصلاحات .**

27 - Le Matin, Septembre 2001, Le rêve ne s'est pas réalisé, p.2

28 - GRANDGUILLAUME G., 1996, La confrontation par les langues, Anthropologie et sociétés, p.44.
- GRANDGUILLAUME G., 1979, Langue, identité et culture nationale au Maghreb, Paris, Peuples méditerranéens, N° 9.

وبمقالات مختلفة سجل تبني الشروق اليومي موقفا معارضا بإفرادها لملفات خاصة حول هذا البرنامج وخلصت من خلالها إلى الكشف عن تفاصيل فضائح فساد كما سجل مساندتها للتيار السياسي الإسلامي (ممثلا في حزب النهضة وحزب حركة مجتمع السلم) الذي قدم دعوى قضائية لمواجهة ما أسموه بـ " الفضيحة " (نشير إلى أن هذه الأزمة كانت بداية عام 2006 حينما شرع التلفزيون الجزائري في عرض برنامج ستار أكاديمي اللبناني) .

- **الهوية تكتمل بترسيم اللغة الامازيغية :**

ركزت الصحف المنتمية إلى هذا التوجه بشكل كبير على قضية الأمازيغية التي طرحت وبشدة على الساحة الوطنية إبتداءا من عام 1994 بعد مطالبة أحزاب وحركات ثقافية بترسيمها كلغة وطنية [29] فقد شهد هذا الملف تطورا وتعقيدا شديدين بسب الاحتجاجات والاضطرابات التي شلت عددا كبيرا من المراكز التعليمية مع نهاية 1994 وبداية العام الموالي بعض ولايات الوطن (تيزي وزو وبجاية تحديدا) لمدة تعدت 6 أشهر.

دعمت معظم صحف هذا التوجه الإضرابات الحاصلة حول هذه القضية بدليل إلتماسنا مواقفها الداعمة لفكرة الاعتراف باللغة و التراث الأمازيغي وحتى المتوسطي من ناحية أبعاد الوطنية وهذا إستنادا حسبها للحقائق الموضوعية.

وحول القضية اللغوية دائما، سجل إهتمام وإن كان ضئيلا مقارنة بقضية الأمازيغية حول اللغة العربية التي إعترف على أنها وطنية ورسمية وتعبر عن الهوية الاجتماعية والثقافية من حيث أنها تعبر إلى حد ما عن التراث المجتمعي"... لكنها غير قادرة على مواكبة العصر ... هذا هو الواقع شئنا أم أبينا ..." [30]، أما التعريب فقد ربطه معظم الإعلاميين المستجوبين بالإضافة إلى ما جاء ببعض الصحف بالنظريات البعثية والإسلامية والثقافية المشرقية من حيث أن هذه الجماعات لا تحترم الخصوصية اللغوية الموجودة في الجزائر (المقصود هنا الأمازيغية والفرنسية) وتأثير اللهجات المحلية على العملية الاجتماعية التواصلية.

إن الأخذ بهذه المعطيات على مستوى صفحات هذه الجرائد سيسمح بتحقيق العملية التواصلية بين مختلف فئات المجتمع الجزائري و حتى المجتمع العالمي، كما سيسمح بتحقيق مفهوم " الجزائر جزائرية " القريبة من الانتماء المتوسطي.

- **صحف عروبية وإسلامية التوجه:**

---

29 – المقصود هنا حزب التجمع الوطني من أجل الثقافة والديمقراطية (RCD) والحركة الثقافية البربرية (MCB) وكان ذلك من خلال الندوات والتظاهرات والمسيرات التي شهدتها الساحة الوطنية نهاية 9 عام 1994 وبداية العامي الموالي .

30 – تصريح صحفي بجريدة El Watan - مكتب وهران .

اشتركت العديد من الصحف مثل الجزائر اليوم، الشروق العربي، السلام، الصحافة ، البلاغ، النور و الإرشاد... في نقاط أساسية والتي عكست المصادر الأيديولوجية لتكون الجماعة العروبية والإسلامية وتماسكها بحيث تعمل على الضبط والتحكم في الصراعات بين الجماعات الفرعية كما أنها تعتبر عن نموذج ثقافي خاص بها يتناقص مع النماذج الأخرى "... تميل مثل هذه الصحف المعربة إلى التأكيد على الهوية العربية والإسلامية وثوابت الأمة..." [31].

- **رفض مبدأ الائكية :**

أبدت معظم جرائد هذا التوجه رفضها الكبير لمبدأ الائكية وطالبت الدولة بضرورة التحكم وتسيير مؤسساتها بأحكام الشريعة وهذا تدعيما لثوابت الأمة بدليل تكرير دعواتها وإلحاحها على ضرورة ربط الدين (الإسلام) بالدولة والممارسة السياسة، معتبرة أن الإسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان وهو إسترجاع للخلافة الإسلامية وللفكر الأصولي بأسلوب عملي خاصة في الوقت الذي فشلت فيه النظم السياسة والعالمية (الرأسمالية والاشتراكية) والتناقضات العميقة والصراع الذي أصبح يهدد جميع البنيات الاجتماعية وبالتالي الأزمة التي آل إليها المجتمع الجزائري، مما يسمح ببروز نظام إسلامي كحل سليم ووحيد لهذا الإشكال وما فكرة الائكية والديمقراطية – حسبهم إلا خديعة ومشروع إستعماري يهدف إلى سحق الدين من خلال التغيير في الفكرة والثقافة والتركيبة النفسية لأفراد المجتمع ومنها إحداث قطيعة تاريخية والخروج من دائرة الانتماء الديني الحضاري .

ترجم جوهر هذه الفكرة (الدين ضرورة للدولة) من خلال معالجة الصحف لقضايا الإسلام السياسي وقانون الأسرة والمرأة وإصلاح المنظومة التربوية، كما سجل دفاع مثل هذه الصحف القوى عن قانون الأسرة لعام 1984 مؤيدة فكرة الإبقاء على مواده بحكم أنها مستمدة من حكم الشريعة الإسلامية "... فالإسلام صان المرأة وكرّمها وأعطاها كامل حقوقها وهي تعبر عن أفكارها بكل حرية (في إطار الشرع) . تضمن مواد قانون الأسرة المستوحاة من الشريعة السمحاء كامل الحرية للمرأة الجزائرية فلهذا أي محاولة للتحايل على الشرع والمطالبة بتعديل الدستور قد تؤدي بنا إلى الهاوية..." [32]،

وبخصوص إصلاح المنظومة التربوية، لاحظنا أن هذه الصحف أبدت إستنكارها للأفكار والإشاعات التي روجت والتي مفادها أن استمرار اعتماد المدرسة على المناهج ذات طابع ديني قد يكون سببا مباشرا في تخريج الإرهابيين .

---

31 – تصريح عبد الله قطاف (مدير سابق ليومية الشروق) .

32 – ورد في مقابلة أجريت مع صحفي بجريدة الشروق اليومي- مكتب وهران .

- **التعريب ضروري والعربية أولى**

توحدت مواقف معظم جرائد هذا الاتجاه بخصوص اللغة العربية التي اعتبرت لغة وطنية رسمية وهي تعبر حسبهم عن الإنتماء إلى الوحدة والأمة العربية الإسلامية وعلى هذا الأساس يتوضَح بأن العربية تكتسي أهمية بالغة في رتبة القيم التي تدافع عنها الجرائد، أما التعريب فإعتبرت ضرورة وحتمية فهي يعد مكسبا وطنيا مهما يرسّخ من إنتمائنا العربي الإسلامي [33] وترجم هذا التقييم بشكل واضح من خلال المواقف المتخذة والمعلن عنها من قبل الصحف التي ساندت بشكل كبير إصلاحات الوزير الأسبق على بن محمد والتي إعتمدت على سياسة التعريب الشامل بتسيير العربية ووضع اللغة الإنجليزية منافس للغة الفرنسية (عام 1991) كما ترجم بوضوح عام 2001 حينما رفض مخطط إصلاح المنظومة التربوية من طرف لجنة بن زاغو إذ وصف بتقرير"العار" وبأنه "علماني" وراءه جماعة " فرانكوفونية"[34].

جاءت رؤية هذه الصحف للتعبير عن فلسفة وأيديولوجية الجماعات المرجعية التقليدية المبنية على أساس أن " الجزائر عربية إسلامية" ولا يمكن أن تخرج عن هذا الإطار لأن " الحديث عن التنوع الثقافي في سياق محددات معينة بحيث يتم جمع مختلف الثقافات في إطار الإسلامية (...) لكن لابد من الاعتراف بأن هذه الفئة (المعربة) لم تناقش القضايا المطروحة بعمق لأنها اهتمت بقشور القضايا... وجمركت مواقفها الهزيلة المدافعة عن هوية البلد..."[35].

تشترك النخبة الإعلامية مع غيرها من المجموعات الاجتماعية في إنتاج المعارف وفي وضع الآليات العامة للمجتمع ،فهي قوة مؤثرة -من منطلق نفعي - من أجل الحفاظ على نظام الحكم أو التأثير من خلال لعب دور المعارضة الذي ينشأ من مواقف النقد.وعليه يمكن تصنف هذه الفئة ضمن النخب المقالية وفقا لتصنيف مانهايم (MANNHEIM) [36] نظرا لتأثيرها في المحيط الثقافي .

ترتكز مهمة الإعلاميين في إعادة إنتاج مجموعة أفكار ذات دلالات اجتماعية ونشرها على القراء وهي تمتلك بهذا أساليب تكوين وتوجيه كل أو جزء من المجتمع، أي

---

33 – كان ذلك إعتراف السياسي محي الدين عميمور الذي نشر خلال التسعينات بمعظم الصحف المعربة من بينها الشروق العربي.

34 – ورد ذلك بجريدة صوت الأحرار في 3-07-2001 وجريدة البلاد (8-07-01) في مقال عنوان بـ" نرفض فرنسة المدرسة الجزائرية"، إلى جانب الشروق اليومي (27 مارس و30 أفريل 2001).

35 – نقد وجهه عبد الله قطاف (مدير سابق للشروق اليومي) لفئة المعربين.

36 – ريمون بودون و بوريكو، 2007 ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة : سليم حداد ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

أنها تساعد على توجيه ممارساته الاجتماعية من خلال الكتابة التي تعد أحد الأشكال القوية المعيدة لإنتاج ثقافة ورموز المجتمع وذلك بتأمينها لنقل الذاكرة الاجتماعية وبدقة [37].

لا يمكن إنكار دقة استغلال هذه الفئة للصحف باعتبارها أحد الوسائل الإستراتيجية ذات وظيفة بسيكو إجتماعية حساسة لتثبيت الأطر الثقافية والإدراكية من خلال عمليات إعادة الإنتاج هذه و التي تأخذ شكل ديناميكي وفق ميكنزمات معينة لقيم الجماعة التي تتبنى منطلقاتها . إذ يتم الاعتماد على إستراتيجية الالتفات والمدافعة عن قيم أساسية ومرجعية تحدد غاياتهم ومشروعهم الاجتماعي.

كشفت تفاصيل الدراسة المعروضة أن النخبة الإعلامية الجزائرية اعتمدت في خطاباتها الصحفية وهي تناقش وتأطر بعض المسائل الحساسة في السياسة والثقافة والاقتصاد.. نوعين من المعارف.

- **معارف صريحة** (Savoirs explicites) والتي تم التعبير عنها بشكل مباشر و رسمي. استعملت مجموعة من الأساليب الاقناعية تضمنت نظم رمزية والتي اتسمت بسهولة نشرها.
- **معارف ضمنية** (Savoirs implicites) اجتهدت النخب الإعلامية باختلاف توجهاتها الفلسفية والفكرية ، كل على طريقتها في كسب الشرعية والقوة لبلوغ غايات خططتها الجماعة والتي غالبا ما تتمثل في إعادة إنتاج قيمتها مع محاولة إدخال وفق منطق الفاعلين قيم جديدة تواكب كل تغيير ومنافسة. وما كان عليها لبلوغ هذه الأهداف إلا الاعتماد على أساليب خطابية ترتكز أساسا على معارف ضمنية التي اعتمدت كثيرا على استراتجيات التلميح إلى كل ما له صلة بمعرفة كيف .

البيبليوغرافيا

ريمون بودون و بوريكو، 2007 ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة : سليم حداد ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

ANSART P., 1990, Les sociologies contemporaines, 3éme éd, Paris, Le Seuil.

BAREL Y., 1960, La reproduction sociale, Paris, Anthropos.

[37] - BAREL, B., 1960 , La reproduction sociale , système , vivants , invariance et changement , Paris , Anthropos , p 35 .

GRAMSCI A., 1983, Cahiers de prison, Paris**,** Gallimard**.**

GRANDGUILLAUME G., 1996, La confrontation par la langue, Anthropologie et sociétés, périodique universitaire, N° 20, Québec.

GRANDGUILLAUME. G., 1979, Langue, identité et culture nationale au Maghreb, N° 9, Paris, P*euples méditerranéens*, No 9, 1979,

GRANDGUILLAUME G., février 1997, L'arabisation et démagogie en Algérie, *le* monde diplomatique.

GUERID D., 2007, L'exception algérienne, Alger, Casbah

LEVY A., 1972, Psychologie sociale (texte fondamentaux, anglais et Américains) . Paris, Dumont.

LEWIN K., 1959, Psychologie dynamique, Les relations humaines, Paris, Puf.

MAOUGAL M.L., 1997, Le syndrome identitaire, *réflexion*, N°1, Alger, Casbah.

RIFFEL R., 1984, L'élite des journalistes, Paris, Puf.

ROLAND C., 1973, La presse écrite et audio-visuelle, Paris, Puf.

TALEB IBRAHIMI K., 1997, Les Algériens et leur(s) langue(s), 2ème éd, Alger, El hikma.

- **الـجرائد :**

- الشروق العربي اليومي .
- البلاد 8 جويلية 2001 .
- البلاغ اكتوبر 1991 (العدد 3) .
- الخبر ، 20 ماي 2001 .
- صوت الأحرار ، 3 جويلية 2001 .

Le Matin , Mai , Septembre ,2001 .
Liberté , Avril 1994 , mai , 2001 .
El watan septembre 95 , mai 2001.

- **مـواقع الأنترنيت :**

- موقع بوابة الجزائر www.babeldjazair.com
- موقع الطاهر وطار الإلكتروني www. taherwatar.com
- موقع الشروق الالكتروني www.echouroukonline.net
- موقع الوطن الالكتروني www.elwatan.com

- **الـمواثيق:**

- دستور 1989 ، الديوان الوطني للأشغال العمومية

- **الأطروحات:**

- أم الخير تومي، 2010 ، الخطاب الإعلامي و الازدواجية الثقافية بالجزائر، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران.